(١٠)

ماذا قدم العرب لفلسطين خلال عام هجرى مضى ؟ ![1]

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

ذكريات مع العام الهجرى :

حينما كنا طلاباً، كنا ننتظر مطلع العام الهجرى، لنرى ماذا يقول الأدباء والشعراء حول هذا العام الهجرى. وكانت بعض المجلات الأدبية والثقافية تحتفى بهذه المناسبة، وتصدر عددا خاصا حافلا، يتحدث فيه عدد من الكتاب فى مقالاتهم، وعدد من الشعراء فى قصائدهم عن العام الهجرى، وعن آلام الأمة وآمالها، على خلاف ما يركز عليه كثير من الخطباء والوعاظ حينما يستقبلون عاماً ويودعون عاماً، كل ما يهمهم : ماذا يفعل الفرد؟ وماذا عليه أن يحاسب نفسه على عام مضى؟ وهذا شيء لا بأس به، ولكن إهمال أمر الأمة هو الأمر الخطير.

كنا معنيين بأمر الأمة، وماذا قدمت وأنجزت، وماذا خسرت وضيّعت. وكان الشعراء الإسلاميون هم الذين يُغذّون مشاعرنا فى تلك الفترة. وأذكر من هؤلاء الشعراء شاعراً كانت قصائده تنال منا كل الرضى، كان شاعراً إسلامياً فحلاً هو الشاعر (محمود غنيم) .

فى سنة من سنوات الهجرة، وفى ذكرى من ذكرياتها، وفى مطلع العام، أنشأ قصيدة ينعى فيها حال المسلمين فى وقته سماها : وقفة على طلل . . على أطلال الحضارة الإسلامية. وقف الرجل على الطلل يبكى ويرثى وينعى ويقول :

ما لى وللنجم يرعانى وأرعاه ... أمسى كلانا يعاف الغمض جفناه

لى فيك يا ليل آهات أرددها ... أوّاه ، لو أجدت المحزون أوّاه

---

(١) ألقيت فى جامع عمر بن الخطاب بالدوحة فى محرم ١٤٢٣هـ الموافق مارس ٢٠٠٢م .

OBEIKAN.COM

ويح العروبة كان الكون مسرحها فأصبحت تتوارى فى زواياه
كم صرَّفتنا يدٌ كنا نصرفُها وبات يملكنا شعب ملكناه
أنَّى اتجهت إلى الإسلام فى بلد تجده كالطير مقصوصاً جناحاه

هكذا وقف الرجل على الطلل، وبكى حال الأمة فى تلك الأيام.

ولم تكن حال الأمة كحالنا هذه، فحالنا اليوم حال يُرثى لها، حالٌ تُبكى العيون وتُدمى القلوب.

الرجل بكى حال الأمة فى ذلك الوقت، ولم تكن الأمة وصلت إلى ما وصلت إليه الآن، وكان كثير الحزن والأسى فى شعره، حتى إنه فى مرة من المرات قال:

قالوا: عجبنا ما لشعرك باكياً فى العيد ما هذا بشعر مُعيّد!
ما حيلة العصفور قصّوا ريشه ورموه فى قفص وقالوا: غرّد!

كيف يغرد العصفور المهيض الجناح، المقصوص الريش، المحبوس فى قفص؟ هل يغرد أم ينوح؟

هذه هى حالنا أيها الإخوة.

مآسى أصابت الأمة فى عامها المنصرم:

لقد ودّعنا عاماً هجرياً، واستقبلنا عاما جديدا.

ماذا أنجزنا فى ذلك العام الماضى؟ ماذا قدمت هذه الأمة من مكاسب فى العام الماضى؟

أما (شارون) وعصابته فيستطيعون أن يقولوا: قد قدمنا الكثير، وأنجزنا الكثير. استطاع شارون أن يقتحم بدباباته المدن والقرى والشوارع والحارات، وأن يقتحم على الناس بيوتهم، ويدخل غرف نومهم، ويستبيح كل محرم.

شارون وعصابته استطاعوا أن يفعلوا الأفاعيل.. أن يسفكوا الدماء.. أن ينتهكوا المحرمات.. أن يخرّبوا المنازل.. أن يحرّقوا المزارع.. أن يدمروا المساجد.. أن يدمروا المدارس.. أن لا يبقوا شيئاً، لم يكتفوا بحصار هذا الشعب ليجوع، أرادوا أن يقتلوه قتلا.

فعل شارون الكثير: استخدم الدبابات.. استخدم المدرعات والمصفحات.. استخدم الأباتشى.. استخدم الـ ف - ١٦.. استخدم المروحيات.. استخدم كل شىء، ولم يبال بشىء، لم يستح من شىء، ولم يخجل من شىء، ولم يخف من أحد، فمعه السلاح الأمريكى، والمال الأمريكى، والفيتو الأمريكى. ومعه تخاذل العرب، واستخذاء العرب الذين سكتوا عما يجرى.

الشىء الوحيد الذى أنجزته الأمة فى العام الماضى هو: مقاومة الشعب الفلسطينى.. بسالة الشعب الفلسطينى.. بطولة الشعب الفلسطينى.. تضحيات الشعب الفلسطينى.

حيّوا هذا الشعب، حيّوا شعب فلسطين، حيّوا أبناء فلسطين، حيّوا بنات فلسطين، حيّوا أمهات فلسطين، حيّوا شيوخ فلسطين، حيّوا شباب فلسطين، حيّوا هذا الشعب الباسل البطل، الذى جعل من الضعف قوة، وجعل من لا شىء كل شىء، لأنه ضحى بنفسه فى سبيل الله، لم يبال بالموت فى سبيل الله[١].

ولست أبالى حين أُقتل مسلماً على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزّع[٢]

هذا الشعب وضع رؤوسه على أكفّه، وقدّم النماذج الرائعة.. الشباب الذين يفجّرون أنفسهم.. الشباب الذين يقفون فى سبيل الدبابات، وفى وجه الدبابات، وينسفون بعض الدبابات.. الشباب الذين يهاجمون المستوطنات، حتى العمليات الاستشهادية[٣] تغيرت نوعيتها، أصبح هناك هجوم وأصبح هناك مقاومة، ما عاد هؤلاء الشباب يخاف هذه الدبابات ولا هذه المروحيات ولا هذه الطائرات، لقد ضحّى وصمم على أن يضحى.

هذه البطولة.. هذه المقاومة، هى وحدها الشىء الرائع الذى أُنجز فى ساحة أمتنا كلها.

---

(١) تفاعل جمهور المصلين مع الشيخ كعادته، وتعالت أصواتهم بالتكبير.

(٢) هذان البيتان للصحابى الجليل خبيب بن عدي، قالها قبل أن تصلبه قريش، لمعرفة المزيد راجع: زاد المعاد لابن القيم، فى أحداث يوم الرجيع (٣/ ٢١٩) طبعة الرسالة.

(٣) راجع فتوانا حول مشروعية العمليات الاستشهادية (فتاوى معاصرة حـ٣/ ٥٠٣).

OBEIKAN.COM

مواقف مخزية للعرب تجاه فلسطين:

أما ما هو موقفنا نحن العرب؟ ماذا قدمنا نحن العرب لهؤلاء الأبطال؟ ماذا قدمنا لهؤلاء الآباء الذين يرفضون أن يقبلوا التعازى فى أبنائهم إذا استشهدوا؟ ماذا قدمنا للأمهات اللاتى يستقبلن استشهاد أبنائهن بالزغاريد؟ ماذا قدمنا للأم التى تنصح ابنها وهو ذاهب ليفجر نفسه – كما نصحت الخنساء أبناءها الأربعة وهم يقاتلون في القادسية – أن يثبت فى سبيل الله وأن يعلم أنه إن مات فهو حى يرزق: ﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ** ﴾ [البقرة: ١٥٤].

ماذا قدمت أمة العرب؟ ماذا قدم قادة العرب؟ ماذا فعلوا لمساندة إخوانهم فى العروبة والإسلام؟ هل قدموا شيئاً يُذكر؟ ما قيمة هذه الجامعة العربية؟ ما قيمة هذه القمم التى تُعقد؟ ما قيمة هذه الأسلحة التى تُشترى بالمليارات وتُترك حتى تصدأ؟ أين الدفاع العربى المشترك؟ أين العروبة؟ أين الأخوة؟ أين الغيرة؟ أين الحماسة؟

إنى والله لا أجد لهذا أى تبرير فى تاريخ العرب، لا فى جاهليتهم ولا فى إسلامهم. العرب كانوا يثورون ويحمون لإنسان يستجير بهم، لو استجار بهم مستجير فإنهم مستعدون أن يدفعوا عنه بأنفسهم وأموالهم، ويرون ذلك من الشهامة العربية، والأخلاق العربية التى تأبى أن تدع من يستجير بهم دون حماية.

فكيف وإخوانكم وهم منكم وأنتم منهم ولا تقدمون لهم شيئاً؟!

النخوة عند عرب الجاهلية:

العرب فى الجاهلية رأينا منهم مثل: المهلهل بن ربيعة الذى اشتهر عند الناس باسم (الزير سالم)، كان رجل شهوات فى حياته.. رجل كاس وطاس وزير نساء. ولكن حينما قتل أخوه كُليب أبى إلا أن يطلِّق هذه الأمور كلها، وأن يعيش لشىء واحد: أن يثأر لأخيه المقتول، وقال فى ذلك قولته:

ولست بخالع درعى وسيفى إلى أن يخلع الليلَ النهارُ

ولم يخلع درعه ولا سيفه حتى أخذ بثأر أخيه، وانتقم من بنى بكر.

وفى يوم من الأيام قُتل أحد كبرائهم، فقال له بعضهم: يكفيك هذا بكليب. قال: هذا يبوء بشسع نعل كليب.

هذه حَمِّية العرب فى الجاهلية.

عمرو بن كلثوم كان عند ملك الحيرة (عمرو بن المنذر) أو (عمرو بن هند)، وكانت معه أمه، فأرادت أم الملك أن تستخدمها فى بعض الأشياء، أمرتها أن تأتى لها ببعض الأشياء، فكبر ذلك على المرأة أم الفارس عمرو بن كلثوم، وأخبرت بذلك ابنها فثار، وقال قصيدته الشهيرة التى قالوا فيها: إنها كانت حوالى ألف بيت، وما بقى منها وما حفظه الرواة منها:

وقد علم القبائل من مَعَدٍّ ... إذا قُببٌ بأبطحها بُنينا

بأنَّا المانعون إذا غضبنا ... وأنَّا المانحون إذا رضينا

وأنا نوردُ الرايات بيضاً ... ونُصدرهن حُمراً قد روينا

إلى آخر ما قال:

إذا بلغ الفطام لنا صبيٌّ ... تَخِر له الجبابرُ ساجدينا[1]

وقامت معركة بعد ذلك بينه وبين عمرو بن هند، وقُتل عمرو بن هند ملك الحيرة، وانتهب بنو تغلب قصره وأشياءه، انتقاماً لكلمة قالتها أم الملك، اعتبروها إهانة لأم عمرو. كلمة تقوم من أجلها معركة وتحدث مقتلة.

هؤلاء هم العرب، لا يقبلون الذلَّ.

ويقول عنترة فى شعره:

لا تَسْقنى ماء الحياة بذلّة ... بل فاسقني بالعْز كأس الحنظل!

ماء الحياة بذلّة كجهنّم ... وجهنّم بالعزّ أطيب منزل![2]

هكذا كان القوم.

نخوة عرب قريش:

وفى أول الإسلام حينما هُزمت قريش فى معركة بدر الكبرى، قُتل منهم سبعون من الصناديد، وأُسِر منهم سبعون، وكان أبو سفيان بن حرب لازال

---

(١) انظر: شرح المعلقات للحسين الزوزنى (ص ١٩٦ وما بعدها).

(٢) انظر: ديوان عنترة لفاروق الطباع (ص ٢٥٢ وما بعدها).

مشركاً، وكان يُعتبر زعيم القوم فى ذلك الوقت، خصوصاً بعد أن مات من مات من الصناديد والكبار فى بدر، فآلى على نفسه أن لا يمس بدنَه ماءٌ من غسل جنابة[1]، يعنى أن لا يعاشر امرأته. وحرمت قريش على نفسها أن يبكى أحد بكاء نوح، يعنى بكاء بأصوات وكلام، وألزمهم أن يكتموا ذلك فى أنفسهم حتى لا ينفسوا عن أنفسهم، ليظل هذا الغضب.مكبوتاً إلى أن يأخذوا بثأرهم.

وفى يوم من الأيام سمع بعض الناس امرأة تبكى وتصرخ ببعض الشعر، فظنوا أنهم أبيح لهم أن يبكوا وأن يشعروا وأن يعبروا عن أنفسهم، فلما خرجوا وسألوا قالوا: هذه امرأة ضل بعيرها فهى تبكى بعيرها الذى ضاع، فقال أحدهم فى ذلك:

أتبكى أن يضل لها بعيرٌ ... ويمنعها عن النوم السُّهُودُ

فلا تبكى على بكر ولكن ... على بدر تقاصرت الجدود[2]

إلى آخر ما قال.

العرب حرموا على أنفسهم النوح حتى يثأروا، وثأروا فعلاً فى غزوة أُحُد، فما بالنا نحن؟

النخوة فى العهد الإسلامى:

فى العهد الإسلامى رأينا عمر بن عبد العزيز حينما سمع أن رجلاً مسلماً فى بلاد الروم قد أُهين، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى ملك الروم يقول له: لقد بلغنى أن مسلماً استذل عندكم وأُسر، فإذا وصلك كتابى هذا فخل سبيله، وإلا غزوتكم بجنود أولها عندك وآخرها عندى[3].

من أجل فرد استذل وأهين تُجيّش الجيوش ويحمى الخلفاء.

وكلنا يعرف القصة الشهيرة، قصة المرأة التى لطمت على خدها فى بلاد الروم، فصاحت صيحتها التاريخية: وامعتصماه.

---

(١) ووفى أبو سفيان بنذره وخرج فى مائتى راكب، وخرج النبى ﷺ لملاقاته، وهى غزوة السويق، للمزيد راجع زاد المعاد لابن القيم (٣/١٦٩، ١٧٠)

(٢) القائل هو: الأسود بن عبد المطلب، وكان ضرير البصر، وكان قد أصيب له ثلاثة من أبنائه يوم بدر. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/١٩٨).

(٣) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ١٤٣، ١٤٤ طبعة مكتبة وهبة.

كل مسلمة وكل مسلم فى ذلك الزمن كان يحس أن له كياناً وأن له كرامة، وأن هناك من يُسأل عنه فقالت المرأة ملطومةُ الخد فى بلاد الروم: وامعتصماه. تستنجد بالخليفة وبينها وبينه وِهادٌ ونِجَادٌ وبُحُور.

وبلغ المعتصم هذه الصيحة، فماذا قال؟ قال: لبيك أختاه.. لبيك أختاه. وجند جنوده وجيش جيوشه وحارب الروم في معركة تاريخية معروفة: معركة عمورية، التى قال فيها أبو تمام بائيته الشهيرة:

السيف أصدق إنباءً من الكتب فى حدّه الحدّ بين الجدّ واللّعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى متونهنّ جلاء الشكّ والريب

أى المنطق للقوة.. للسيف لا للقلم، بيض الصفائح: السيوف، لا سود الصحائف: لا ينفع فى هذا الوقت سودُ الصحائف ولا الكلام.

هكذا كانت أمتنا فى عهد الجاهلية، وفى عهد الإسلام.

لم يعد لنا مبرر للسكوت:

فما الذى جرى؟ ما الذى جرى ونحن نرى بأعيننا؟ لو كنا لا نرى لكان لنا بعض العذر، ولكن هذه التلفازات أسقطت الأعذار وأبطلت التعلات، لأننا نشهد بأعيننا ،ونسمع بآذاننا، ونرى ما يحدث لإخواننا وأخواتنا وأبنائنا وبناتنا. هل تجمد الدم فى العروق؟ هل بردت هذه الدماء الساخنة فأصبحت ثلجاً؟

ماذا جرى لهذه الأمة؟ لماذا لا تهب لنجدة إخوانها؟

أعجب والله، ثم أعجب، ثم أعجب، لما يحدث اليوم من سكوت، ومن صمت، ومن استخذاء. بل أعجب ثم أعجب حين كنت أسمع أول أمس – يوم الأربعاء الماضى – إحدى الإذاعات .. إذاعة القرآن تقول: حدثت بالأمس عملية انتحارية! وقد قتل الانتحارى! يا لله، إذاعة عربية وإذاعة إسلامية تقول عن هؤلاء الشهداء الأبطال: انتحاريون! أو تسمى العملية: عملة انتحارية! وتجرى فى ركاب إسرائيل ومن وراء إسرائيل! من هو البطل إذن، ومن هو الشهيد إذن، إذا لم يكن هؤلاء الذين أسقطوا فرض الكفاية عن الأمة؟

ولم يعد الجهاد فرض كفاية على الأمة، الجهاد فرض عين على الأمة، كلٌّ عليه أن يجاهد بما يستطيع بنفسه.. بماله.. بكلامه.. بكلٍّ ما يقدر عليه. الجهاد فرض على الأمة كلها، كلٌّ فى حدود دائرته وفى حدود استطاعته.

أهؤلاء انتحاريون؟ كيف يُقال هذا؟

والله عجبت وعجبت وعجبت، ولا أدرى هل هذه الإذاعة تستعمل هذه المصطلحات طوال أيامها؟ أم كان ذلك خطأ؟ لا أتابع مثل هذه الأشياء.

أين الأمة؟ أين أمة العرب وأمة الإسلام؟ يعتمدون على أمريكا راعية السلام، وعليها هى أن تحقق السلام!

أمريكا تكيل بمكيالين:

ولكن أمريكا ليست راعياً محايداً، إن أمريكا مع إسرائيل بالحق وبالباطل، بالعدل وبالظلم، بالصواب وبالخطأ، هى منحازة لإسرائيل.

الذين يدافعون عن أنفسهم من أبناء فلسطين، الذين يقاومون الطغيان المتجبر والجبروت الطاغى، الذين يقاومون عدوان شارون ومن مع شارون، الذين يقاومون الدبابات والطائرات، هؤلاء إرهابيون!

حماس إرهابية! الجهاد إرهابية! الجبهة الشعبية إرهابية! حزب الله إرهابى! واليوم أضافوا كتائب شهداء الأقصى وهى فصيل من فتح، ضُمّت إلى قائمة الإرهاب! هؤلاء إرهابيون!

أما شارون وعصابته فهم يقولون: من حقهم أن يدافعوا عن أنفسهم! شارون وجماعته مدافعون، مظلومون، معتدَى عليهم! أما الفلسطينيون فهم المعتدون، وهم الظالمون، وهم الجائرون، وهم الإرهابيون، ضموا إلى قائمة الإرهاب الأمريكية! وعلى العرب والمسلمين جميعاً أن يحاربوهم، لأن المنطق: إما أن تكون معنا أو تكون مع الإرهاب! فعلى جميع العرب وعلى جميع المسلمين أن يحاربوا حماس، وأن يحاربوا الجهاد، وأن يحاربوا كتائب الأقصى، وأن يحاربوا حزب الله، لأن كلهم إرهابيون!

هذا هو منطق الأمريكان!

كنت فى الشهر الماضى فى بيروت، فى الجلسة الافتتاحية لمؤسسة (القدس)، هذه المؤسسة العالمية التى تضم مسلمين ومسيحيين، وعرباً وعجماً، تضم كل من يدافع عن قضية القدس وفلسطين، وقد شرفنى الإخوة برئاسة مجلس أمنائها، وقلت فى تلك الجلسة الافتتاحية: إذا كان كل من يدافع عن

وطنه ويستميت فى الدفاع عن مقدساته إرهابياً، فأنا أول الإرهابيين. وأنا أدعو الله وأقول: اللهم إن كان هذا إرهاباً، فأحيينى اللهم إرهابياً، وأمتنى إرهابياً، واحشرنى فى زمرة الإرهابيين.

هل هذا هو الإرهاب؟ هذا ما تريده أمريكا.

شارون برىء براءة الذئب من دم ابن يعقوبَ، شارون حَمَلٌ وديع!

شجاعة أهل فلسطين:

أما الفلسطينيون فهم ذئاب كاسرة، وسباع كاشرة! هؤلاء إرهابيون، أهل عنف وأهل دماء!

الذين يدافعون عن أنفسهم، الذين يعيشون تحت وطأة الحصار هذه الشهور الطويلة، الذين يصبرون ويصابرون ويرابطون مجرمون وإرهابيون يجب أن يقاتلوا، وأن يقاتلهم العرب والمسلمين أنفسهم مع أمريكا، وإلا كانوا مع الإرهاب وعُدُّوا فى زمرة الإرهابيين!

إننا نشد على يد إخواننا فى الانتفاضة فى أرض فلسطين، نشد على أيديهم، نبارك جهادهم، نحيى صمودهم، ويستطيعون أن يفعلوا الكثير.

إن الفلسطينيين لا يهمهم ما يقدمون من شهداء، هذه طبيعتهم، وهذه طبيعة القتال: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ..** ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿ **.. إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ..** ﴾.

[النساء: ١٠٤]

لن يهم الفلسطينيين ما قدموا وما يقدمون من شهداء وتضحيات، ولكن الإسرائيليين يهمهم جدّا أى واحد يسقط منهم، أى حادثة تقع لهم تهز أركانهم هزا، تزلزلهم زلزالاً شديدا، تجعل الآلاف يطلبون الهجرة ويفرّون فى أول فرصة، لماذ أيها الإخوة؟ لأن الفلسطينى هذه أرضه فهو يتشبث بها. وقد تعلم الفلسطينيون من معارك (١٩٤٨م) أنهم لن يتركوا ديارهم ولو تحولت قبورا.

أما الإسرائيلى هذا فهو إنسان لا يتشبث بجذور الأرض، ليس له فيها جذور يتشبث بها، هو غريب، وافد، مهاجر من أوربا الشرقية أو الغربية

أو أمريكا أو غيرها، فهو يشعر أنه ليس له أصول فى هذه البلاد، لا تمتد جذوره إلى عروق أرضها، ولذلك لا يصعب عليه أن يتركها. فهذا هو الذى يزلزل إسرائيل ويخيفها.

لو صبرت العرب وصبر قادة العرب على المقاومة وعلى الانتفاضة وأمدوها بعض المدد بالمال والسلاح، لاستطاعت الانتفاضة أن تؤدى دوراً كبيرا، وأن تقلق إسرائيل وتزعج إسرائيل وتنتهى فى النهاية بالنصر.

قالوا: الشجاعة صبر ساعة، ﴿ .. **وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٧].

تحول غريب فى سياسة العرب:

ولكن العرب لا يصبرون، ويريدون أن يضغطوا على الفلسطينيين ليقبلوا وقف إطلاق النار.

العرب الذين كانوا شركاء فى المعركة، أصبحوا اليوم وسطاء فى المعركة! يتوسطون ليقنعوا الفلسطينيين بأن يوقفوا إطلاق النار، وأن يوقفوا العنف، وأن يجلسوا على مائدة المفاوضات.

الشركاء بالأمس أصبحوا وسطاء اليوم. أُخرجوا من المعركة. هذا أول ما كسبته إسرائيل: أنها أخرجت بعض العرب المهمين والمهمين جدّا – مثل مصر والأردن – من المعركة، وأصبح كل همهم الآن (الوساطة)، أن يكونوا وسيط خير بالصلح، ﴿ .. **وَالصُّلْحُ خَيْرٌ** .. ﴾ [النساء: ١٢٨].

كيف يحدث الصلح بين اللحم والسكين.. الصلح بين الضحية والجلاد.. الصلح بين الذبيحة والجزار؟ أى صلح هذا أيها الإخوة العرب؟

يا أيها العرب لماذا لا تستعيدون ثقتكم بأنفسكم؟ لماذا لا تعيدون إلى الجامعة العربية حيويّتها وقوّتها؟ لماذا لا يقف العرب وقفة الرجال الأبطال كما تنتظر منهم شعوبهم، وكما نحسه من نبض الشارع العربى فى كل مكان، الذى ينتفض ويغلى غليان المرجل فوق النار؟ وقد رأينا شيئاً من هذا حينما أُتيح بعض الحرية للتعبير، رأينا الشباب فى جامعات مصر فى القاهرة والإسكندرية

والمنصورة وطنطا وكفر الشيخ والزقازيق.. رأينا الشباب ثاروا فى كل مكان، فى سوريا.. فى الأردن ثار هؤلاء الشباب.

نريد من قادة العرب أن يحسوا بهذا النبض.. نبض الشارع، وأن يكونوا معبّرين عن حقيقة أمتهم، لا أن يعيشوا غرباء عنها.

هذا ما نريده من القمة المنتظرة فى الأسبوع القادم، وأن لا تكون قمة تُضاف إلى القمم السابقة، تجتمع وتنفض، ولا تحدث شيئا.

إن أمريكا تريد أن تسوق العرب إلى ما تريد هى، لا إلى ما يريدون هم. وهى تريد أن تتحكم فى العالم. تريد من العرب أن يعطوها صكاً أو توقيعاً على بياض، أو تفويضاً مطلقاً بضرب أى بلد يريدون، خصوصاً العراق، يريدون ضرب العراق، وما سموه محور الشر: العراق وإيران وكوريا الشمالية، وحينما احتجت كوريا الجنوبية سحبوا كوريا الشمالية، وما كانوا سيفعلون شيئاً مع كوريا الشمالية، المقصود هو بلاد العرب والمسلمين، وإيران ليس وقتها الآن، ولكن الآن يريدون ضرب العراق.

هل سيعطيهم العرب هذا التوقيع على بياض؟ هل سيبصمون لهم بما يريدون، كما فعل العرب والمسلمون حينما بصموا ووقعوا وأعطوهم هذا (الكارت) المُوقَّع بضرب أفغانستان؟ هل يفعل العرب هذا ويبيحون لهم ضرب إخوانهم؟ أعتقد أنها ستكون خيانة عظمى لو فعل العرب ذلك.

فهم حقيقة المؤامرة الأمريكية على العراق:

أنا لست بعثياً، ولا صدامياً، ووقفت ضد صدام وضد البعث حينما أغار على الكويت، ولكنى لا أقبل أبداً أن نسمح بضرب بلد عربى وشعب عربى وجيش عربى، لا نوكّل أمريكا بتأديب العراق ولا تأديب صدام، الشعب العراقى هو القادر على أن يغيّر حكومته إن أراد، أما أن نعُطِى أمريكا الحق فى ضرب العراق وتدمير العراق، وهى تدمر وتضرب منذ أكثر من عشر سنوات، جوعت هذا الشعب وقتلت من أطفاله من قتلت، ولم يكفها هذا، تريد أن تقضى على ما بقى من هذا الشعب.

يا لله، أين الأخوة؟ أين أخوة العرب؟ وأين شهامة العرب؟ وأين نجدة العرب؟

الشاعر العربى يقول:

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازى بغير جناح؟!

كيف تقبل أن يُكسر جناح أخيك، وأن يُنتف ريش أخيك، وأن تكون مع المغير والمعتدى، وأن تقف ضد إخوانك مهما يكن خطؤهم فى الماضى؟

أنا أقول لإخواننا فى الكويت: الاعتداء على الكويت شىء، ولكن الاعتداء على العراق الآن شىء آخر، إن العراق ليس له أى دخل فيما سموه (الإرهاب)، ولم يثبت عليه أى شىء، ولكنهم الآن بدأوا يغيرون النغم، بعد أن كانت الحرب ضد الإرهاب قالوا: ضد أسلحة الدمار ومن يملكون أسلحة الدمار!

أمريكا وحدها هى وحلفاؤها من حقهم أن يملكوا ما شاؤوا من أسلحة الدمار، الأسلحة النووية ،والأسلحة الجرثومية، والأسلحة الكيماوية، وكل أنواع الأسلحة ما وُجد منها وما لم يوجد، من حقهم أن يمتلكوه، وليس من حق الآخرين أن يمتلكوه. إذا امتلكه الأمريكان وحلفاؤهم فهذا حلال زلال، وأما إذا ملكه الآخرون فهو منكر وحرام حرام! أى منطق هذا ؟!

يا أيها الإخوة: إن على هذه الأمة أن تعرف قدرها، وأن تعرف واجبها فى هذه المرحلة، إن الله سائل هذه الأمة عما يجرى.

أمة من ثلاثمائة مليون من العرب، ووراءهم أكثر من ألف مليون من المسلمين، كيف تُسْتَذَل هذه الأمة وتُضرب فى عُقر دارها ويُراد لها أن تُساق إلى ما لا تريد؟ بأى منطق هذا؟ وبأى حُجة هذا؟

إن روابط الإسلام وروابط العروبة ونداءات الحق والضمير، كلها تطالبنا بأن نقف وراء إخواننا فى فلسطين، ووراء إخواننا فى العراق، ووراء المظلومين فى كل مكان، فهذه هى حقيقة الأخوة، وصدق الشاعر العربى الذى قال:

فإما أن تكون أخى بصدق فأعرف منك غثّى من سمينى
وإلا فاطْرحنى واتخذنى عدواً أتقيك وتتقينى

اللهم هيىء لنا من أمرنا رشدا، واجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التُقى، وأنفسنا على المحبّة، وعزائمنا على عمل الخير وخير العمل. اللهم آمين.

ادعوا ربكم يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

اضطهاد المسلمين والمسلمات فى أمريكا:

رأينا فى نشرات هذا اليوم أن إخوتنا فى أمريكا يتعرضون لألوان من الاضطهاد، وهم إخوة يعملون فى الميدان الثقافى والتربوى، وليس لهم علاقة لا بالعنف، ولا بالإرهاب، ولا بالجهاد العسكرى، ولا بشيء من ذلك.

ورأينا الأمريكان ذهبوا إلى الجامعة الإسلامية الاجتماعية فى ولاية (جينيا) على ما أظن، واقتحموها وفتشوها وأخذوا منها أشياء، وأخذوا رئيس هذه الجامعة أخانا العالم الفقيه الداعية الشيخ الدكتور طه جابر العلوانى. وذهبوا كذلك إلى عدة مؤسسات: مجلس الفقه الإسلامى، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، عدة مؤسسات تعمل فى مجال الثقافة ومجال العلم ومجال الدعوة والتربية، ولكن أخذوا أناساً، وأخذوا بعض النساء، حتى إن امرأة أخذوها وقيدوا يديها من الخلف لمدة ثلاث ساعات، حتى صرخت وبكت، فأنقذوها وقيدوها من الأمام ساعتين أخريين! ما هذا؟ أمريكا التى تدعى الحرية وتدعى حقوق الإنسان، تعامل الناس بهذه الطريقة. وقد اعتقلوا أكثر من ألف شخص فى أمريكا ولم يُوجه تهمة إلا لواحد منهم، واحد فقط هو الذى اتهم بأنه على صلة بالقاعدة، والآخرون لم يُوجه إليهم سؤال ولا اتهام.

أهذا هو ما يدَّعونه من رعاية حقوق الإنسان؟ أهذا هو ما يدَّعونه من حرية الإنسان وكرامة الإنسان؟ أهذه هى المواثيق الدولية؟ أهذا ما تقوم عليه الأمم المتحدة؟

OBEIKAN.COM

إننا نعجب أن أمريكا وصلت إلى هذا الحد من التجاوزات، وتركت للأجهزة المختلفة عندها تنفذ أشياء غير الأشياء التى تقولها هى فى الصحف والإذاعات والتلفازات، ويعاملون الناس وكأنهم ليسوا آدميين.

إننا نصرخ محتجين على هذه المعاملة، ونرى أن هؤلاء - وكثير منهم أمريكان أصليون، وكثير منهم يحملون الجنسية الأمريكية، وكثير منهم يحملون إقامة شرعية من سنوات طويلة، فلهم حقوق المواطنين - يجب أن يعاملوا باحترام وتكريم كما أراد الله للإنسان حينما قال: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** .. ﴾ [الإسراء: ٧٠]

* * *

OBEIKAN.COM

(١١)

الأمة الإسلامية تحت وصاية الغرب[١]

● **الخطبة الأولى:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

ماذا يراد بتغيير التعليم فى بلادنا:

قُدّر على أمتنا فى هذه المرحلة أن تكون تحت وصاية غيرها من الأمم، تتحكم فيها وفى مصايرها وفى أمورها كيف تشاء.

يُراد لهذه الأمة أن تغير من طبيعتها، وتغير من حقيقتها، ومن مقوماتها وخصائصها، حتى تُرضى الآخرين، ولن يرضى الآخرون عنها حتى تتبع ملتهم.

يُراد لهذه الأمة أن تُغير تعليمها الدينى، طلبت الولايات المتحدة الأمريكية من أكثر من دولة إسلامية أن تعيد النظر فى التعليم الدينى عندها.

ما المراد بالتعليم الدينى؟ هل التعليم الدينى فى المدارس العامة الذى يعلم التلاميذ ما يجب عليهم فى عقيدتهم ،وشريعتهم، وسلوكهم، وأخلاقهم؟ أم يراد بالتعليم ما يأخذه بعض الطلاب فى الجامعات من مقرر الثقافة الإسلامية الذى يعطى المسلم فكرة عن الرسالة الإسلامية ،وعن فلسفتها العامة بحيث يتخرج الطالب الجامعى وقد عرف شيئاً عن هذا الدين يليق بنموه فى هذه المرحلة؟ وهذا واجب على كل من يعيش فى بلاد الإسلام، سواءٌ كان مسلماً أم غير مسلم، لأن الإنسان لا يكون مثقفاً إذا جهل الدين الذى يؤمن به عامة قومه، لا يكون مثقفاً إذا جهل هذه الأصول الفكرية والعقدية التى يعيش عليها الناس ويموتون عليها.

أم يراد بالتعليم الدينى هذا التعليم الخاص الذى تقوم عليه المعاهد الدينية، والكليات الشرعية، والجامعات الإسلامية فى عدد من البلاد، مثل الأزهر فى مصر، مثل الزيتونة فى تونس، مثل القرويين فى المغرب، مثل الجامعة الإسلامية

---

(١) ألقيت فى جامع عمر بن الخطاب بالدوحة فى ٤ ذو القعدة ١٤٢٢هـ الموافق ١٨ يناير ٢٠٠٢م.

وجامعة الإمام محمد بن سعود وجامعة أم القرى فى المملكة العربية السعودية، مثل جامعة ديوبند وندوة العلماء في الهند، مثل الجامعات الإسلامية المتخصصة فى باكستان وفى كوالا لامبور وغيرها؟ هل يراد بالتعليم الدينى هذا التعليم؟

الغالب أن هذا كله مراد.

يُراد أن يُغير التعليم الدينى بحيث يُصاغ صياغة ترضى عنها أمريكا. وهذا أمر عجيب حقاً: أن يفرض علينا نحن العرب والمسلمين ما فُرض على اليابان وألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية. فرض على ألمانيا وعلى اليابان أن تُغيرا من دساتيرهما، وتغيرا من تعاليمهما، ومن ثقافتهما، لأن هؤلاء كانوا أعداء لأمريكا وللحلفاء، ودخلوا معهم حربا فُقد فيها الملايين من الضحايا. ونحن لسنا أعداء، البلاد التى يطلب منها هذا التغيير تُعتبر بلاداً صديقة لأمريكا، وبينها وبين أمريكا اتفاقات ومعاهدات، وسفارات وقنصليات، ولم يحصل بيننا حرب حتى تُفرض علينا هذه الأشياء.

لماذا يُفرض علينا ما يُفرض على المنهزمين فى الحرب، ونحن لم ندخل حربا؟

ولكن هذا حكم القوى فى الضعيف.. حكم الغالب فى المغلوب.

تحكم الذئب فاخضع أيها الحمل تكلم السيف فاسكت أيها القلم!

هذا هو الذى يجرى فى هذه الأيام.

هل التعليم الدينى يثمر إرهاباً؟!

ماذا تريد أمريكا؟ تريد أمريكا أن تُغيّر التعاليم الدينية بحيث لا تنتج الإرهاب، ولا تثمر الإرهاب!

من قال إن التعليم الدينى هو الذى أثمر الإرهاب؟ هذه خرافة وأسطورة لا أصل لها. الذين اتهموهم بالإرهاب هل تخرجوا من التعليم الدينى؟ هل (بن لادن)، أو الظواهرى، أو عبد السلام فرج، أو عبود الزُّمر، أو خالد الإسلامبولى، أو هؤلاء الذين اتهموهم بالإرهاب، هل أحد من هؤلاء تَخرّج فى الأزهر أو فى التعليم الدينى؟ ليس أحد من هؤلاء ممن تخرج فى كلية دينية أو معهد شرعى.

OBEIKAN.COM

طالبان هم طلبة شرعيون حقًّا، ولكن هل طالبان إرهابيون؟ من قال إن طالبان إرهابيون فقد أخطأ خطأ مبينا، وضل ضلالاً بعيدا، وظلم هؤلاء الناس ظلماً بيّنا. طالبان جماعة منغلقة جامدة، تعيش فى الماضى ولا تعيش فى الحاضر. لا تستلهم الحاضر ولا تستشرف المستقبل. هذا ما يعاب عليه جماعة طالبان.

أما أن يتهموا بالإرهاب، فلا، حتى أمريكا لم تقل هذا، قالت عن (بن لادن) والقاعدة: إنهم الإرهابيون وسنقاتلهم ونقاتل من يؤويهم، فاعتبرت طالبان مؤوين للإرهاب وليسوا إرهابيين. ما بالهم يقولون الآن: إنهم أصبحوا إرهابيين؟!

كل ما فعلته جماعة طالبان: أنهم آووا (بن لادن). وليسوا هم – فى الحقيقة – الذين آووه. (بن لادن) ومجموعته موجودون فى أفغانستان من قديم، منذ أيام الجهاد الأفغانى الذى شجّعته أمريكا ودعمته وأيدته، وشجّعته البلاد العربية والإسلامية عامة. ثم أصبح هؤلاء المجاهدون مجرمين بعد ذلك، وسُدت فى وجوههم الأبواب، وتقطعت دونهم الأسباب، ولم يستطيعوا أن يعودوا إلى بلادهم إلا إذا أُدخلوا السجون، فعادوا إلى أفغانستان. والأفغانيون تحكمهم قيم، تحكمهم تقاليد، تحكمهم أخلاقيات، وأن من لجأ إليهم لا يستطيعون أن يتخلوا عنه.

هذا شىء غير الإرهاب.

فلماذا يقولون: إن التعليم الدينى يُفرّخ الإرهاب ويُولّد الإرهاب؟ هذا كلام باطل لا أساس له، ولا يقوم على أى منطق عقلى أو نقلى، أو دينى أو خلقى، أو عرفى أو وضعى، كلام مرفوض من ألفه إلى يائه.

ماذا تريد إذن أمريكا من التعليم الدينى؟

وهناك في العالم ألوان من الإرهاب ليس لها علاقة بالدين ولا بتعاليمه. (عبد الله أوجلان) هذا الكردى رئيس حزب العمال الكردستانى، وهو رجل محسوب على الماركسية والشيوعية واليسارية، وليس محسوباً على الدين ولا على قيم الدين بحال من الأحوال.

فلماذا نقول: إن الدين هو الذى يُفرّخ الإرهاب؟!

OBEIKAN.COM

الإرهاب الذى يوجد فى عدد من البلاد: وُجد فى أمريكا نفسها وفى حادث (أوكلاهوما سيتى)، ووجد في بريطانيا فى الجيش الجمهورى الأيرلندى، ووجد فى اليابان فى جماعة الحقيقة السامية، ووجد في الهند وُقتلت (أنديرا غاندى) وابنها (راجيف غاندى)، ووجد فى إسرائيل وقتل (إسحاق رابين)، ووجد فى كل مكان.

لماذا التعليم الدينى الإسلامى فقط هو الذى يُحمل وزر الإرهاب في العالم؟ هذا أمر عجب.

مؤامرة لتقليص دور الدين فى الحياة:

ثم أقول: ماذا تريد أمريكا من تغيير التعليم الدينى؟

هل تريد أن تُقلِّص دوره وتحجّمه وتقزّمه وتُضيّق مساحته، بحيث لا يكون له تأثير على حياة المسلم؟ أهذا ما تريده؟ إن كان هذا فهذا لا يؤثر فى منع الإرهاب، ولكنه يؤثر فى أخلاقيات الأمة. يجعل الأمة أمة بلا قواعد راسخة.. بلا أصول ولا جذور تمتد إليها وتتمسك بها، تصبح أمة سائبة.. أمة ضائعة.

الأخلاق أساسها الدين، الدين هو جوهر الحياة وسر الوجود، فإذا فُقد من الحياة لم تعد الحياة لها معنى. والدين هو القوة الحافزة إلى الخير، والقوة الرادعة عن الشر، والضابطة لسلوك الإنسان، فإذا قلّصنا دور الدين معناه: انتشر الشر، وانتشر الإجرام، وانتشر الفساد، وانتشرت الإباحية، وانتشر فساد الذمم وبيع الضمائر.

هذا ما يحدث إذا تَقلّص دور الدين في الحياة.

يريدون للأمة الإسلامية – كما ذكر (فوكوياما) فى مقالته التى أشرنا إليها فى الأسبوع الماضى – أن تُقلّد تركيا العلمانية المتطرفة، تقلدها فى تقليص دور الدين. الدين لا يُعلَّم فى مدارس تركيا، وحينما أراد الشعب التركى أن يستعيض عن ذلك فأنشأ مدارس قرآنية – عشرات آلاف المدارس القرآنية – أنشأها الناس بأموالهم في كل المدن والقرى تعلم الأطفال القرآن، ويتعلمون بغير لغتهم، يقرأون: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص: ١] ولا يعرفون معناها. أهذا يُفرّخ إرهاباً؟ ومع هذا – منعت تركيا العلمانية هذه المدارس وأغلقت أبوابها.

أهذا ما يريدونه؟

محاولة لمسخ وتشويه التعليم الدينى:

أيريدون تغيير مناهج التعليم الدينى بحيث يُحذف من هذه المناهج كل ما ينشأ الشخصية المسلمة المتكاملة، الشخصية التى تؤمن بالحق، وتجاهد فى سبيله، وتدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقاوم الباطل، وتتمسك بالحق، ولا تبالى فى سبيل مبادئها ما أصابها من أذى ومن بلاء، الشخصية التى تستعد أن تضع رأسها على كفها فى سبيل الله، تُضحى كما يُضحى إخواننا فى (حماس) و(الجهاد الإسلامى وغيرها من فصائل الجهاد؟

أيريدون أن يحذفوا هذا من المناهج؟

لعلهم يريدون هذا. وقد فعلت هذا بعض البلاد العربية العلمانية العريقة فى العلمانية والمتطرفة فيها، ما سموه: تجفيف المنابع. المنابع التى يتفجر منها التدين، والإيمان القوى، والشخصية المتماسكة المعتزة بدينها وبربها وبإسلامها، هؤلاء حاربوا هذا النوع من التعليم والتربية وسموه: تجفيف المنابع. قالوا: لا يكفى أن تحارب المتدينين، وأن تُدخلهم السجون، وأن تُسلِّط عليهم أدوات التعذيب المادية والنفسية، قالوا: كل هذا لا يصلح. لا يصلح حرب التدين إلا إذا جففنا الينابيع التى يأتى منها التدين!فلعل أمريكا تريد من تغيير المناهج هذا اللون الذى يعتبرونه إصلاحاً وتجديداً، وما هو بإصلاح ولا تجديد، ولكنه إفساد وتبديد.

أم تريد أمريكا أن تُغير المناهج بحيث تنشأ العقلية الإسلامية المتفتحة..؟ العقلية التى تؤمن بالحوار مع الآخرين، والتسامح مع المخالفين، والبر مع المسالمين، والنظر إلى البشر باعتبارهم إخوة وأسرة واحدة، ينتسبون إلى أب واحد، وإلى رب واحد، كما جاء فى الحديث: «أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب»[1]؟ إن كان هذا ما تريده أمريكا فنحن أسبق منها فى هذه الدعوة، لنا عشرات السنين ونحن نُعلّم المسلمين هذا الإسلام، وندعو المسلمين إلى هذا الدين.. الدين المتفتح.. الدين المتسامح.

ندعو المسلمين، وندعو المتشددين منهم، والغلاة والمتطرفين أن يخرجوا من

---

(١) سبق تخريجه.

التعصب والإنغلاق إلى التسامح والإنطلاق، من التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير، من الغلو والانحلال إلى الوسطية والاعتدال، من العنف والنقمة إلى الرفق والرحمة[1]. ندعو المسلمين إلى هذا، لا لأن أمريكا تطلب منا هذا، بل لأن ديننا هو الذى يأمرنا بهذا.

فإذا كان الإصلاح مبنياً على أسس إسلامية، ومن وجهة نظر إسلامية، فهذا ما نطالب به، ولسنا فى حاجة إلى أن يُفرض علينا هذا من أمريكا ولا من حلفاء أمريكا.

إننا ندعو إلى تعليم دينى منبثق مما كان عليه الصحابة والتابعون، وهم أكثر الناس فهماً لهذا الدين، وفقهاً لروحه، ولمقاصده، والتزاماً به، وعملاً بأركانه وبمقوماته وآدابه.

نحن ندعو إلى الإسلام كما فهمه الجيل الأول الذى رباه محمد ﷺ ونشَّأ عليه هذه الأمة التنشئة المطلوبة.

نحن ندعو إلى هذا، ولسنا فى حاجة إلى من يعلمنا ديننا.

نحن أولى الناس بأن نتعلم ديننا من مصادره الأصيلة، وأن نخرِّج فروعه على أصوله، وأن نبنيه على ركائز متينة وقواعد راسخة، من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ.

لماذا لا يُطالب غيرنا بتغيير مناهجه التعليمية؟

ثم نحن نسأل أمريكا: لماذا المسلمون وحدهم؟ لماذا تطالبى المسلمين دون غيرهم بمراجعة تعاليمهم الدينية؟ لماذا لم تطالب الإسرائيليين بهذا؟.. الإسرائيليين الذين استباحوا الدماء، واستباحوا الأموال، واستباحوا الحرمات، ليس عندهم أى بأس من أى دم يُسفك، أو أى عرض يُهتك، أو أى حرمة تنتهك، وهذا بناء على تعاليمهم الدينية فى التوراة.. التوراة التى تقول لموسى: إنك إذا انتصرت على قوم ودخلت بلداً فاضرب أهلها رجالها ونساءها بحد السيف، واقتل بقرها وغنمها وحميرها وكل شىء فيها! يعنى اجعلها خراباً يباباً، استبح كل شىء فيها. هذا ما تقوله التوراة فى أسفارها.

---

(١) هذه بعض الخطوط العشرة التى ذكرناها لترشيد الصحوة الإسلامية، وهى ضمن كتابنا: الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، طبعة دار الشروق ٢٠٠٢م.

OBEIKAN.COM

أما ما يقوله التلمود فهو أشد وأنكى، وأخزى وأقسى، لأنه يستبيح كل الأمم! الأمم أحط عنده من البهائم وأذل من الكلاب! المفروض فى هؤلاء الأغيار أن يكونوا عبيداً للشعب المختار.. شعب إسرائيل! هذا ما يقوله تلمودهم وما نصوا عليه.

والقرآن يشير إلى هذا حينما قال: ﴿ .. **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٧٥]. كل من عداهم أميون، ليس لهم حرمة، وليس لهم منزلة، وليس لهم قيمة، وليس عليهم فيهم سبيل، كذبوا على الله ﴿ **وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾.

لماذا لم تطالب أمريكا إسرائيل ولاسيما الأحزاب الدينية فى إسرائيل حزب (شاس) وأمثاله من هؤلاء المتطرفين الذين يريدون أن يقتلوا العرب ولا يبقوا لهم من باقية؟ أحلال للإسرائيليين حرام على العرب والمسلمين.

لماذا لم يطالبوا الذين ينادون بالأصولية المسيحية فى أمريكا؟ الأصولية المسيحية التى تناصر إسرائيل وتناصر الصهيونية وتعتبر ذلك جزءاً من دينها، وقد تأثر بتعاليم هؤلاء عشرات الملايين، وممن تأثر بهم رؤساء أمريكا السابقون منذ عهد (كارتر) و(بوش) الأب. و(ريغان) و(كلينتون) و(بوش) الصغير. كل هؤلاء من ضحايا هذه المسيحية التى يسمونها: المسيحية الصهيونية أو المسيحية الأصولية. ولعل من فعل حادثة (أوكلاهوما سيتى) من هذا النوع.

وهناك أحزاب وجمعيات متطرفة بالعشرات داخل أمريكا، لماذا لم تطالبهم؟

لماذا لم تطالب الجيش الأيرلندى الكاثوليكى الذى يحارب البروتستانت فى بريطانيا؟

لماذا لم تطالب أى جماعة من الجماعات بالنظر فى تعاليمها الدينية إلا المسلمين؟!

المسلمون وحدهم هم الذين أصبحوا يؤمرون فيطيعون، ويُدعون فيستجيبون، ولا يستطيعون أن يقولوا: لم؟ فضلاً عن أن يقولوا: لا. حتى الأعمال الخيرية، قرأنا بالأمس واليوم: الوفود الأمريكية التى تجوب منطقة الخليج

يميناً وشمالاً، تجوب هذه المنطقة لتضبط الأعمال الخيرية[1] حتى لا يتسرب منها شيء إلى الإرهاب! يعنى: لا يتسرب منها شيء إلى فلسطين.. إلى حماس.. إلى الجهاد.. إلى حزب الله.. إلى فصيلة من فصائل المقاومة، لا ينبغى أن يتسرب إليها شيء. فهم يريدون أن يضبطوا الأعمال الخيرية فى بلاد الخليج، يريدون أن يفرضوا وصاية علينا فى كل شيء.

إنه استعمار جديد، باسم جديد، وبأسلوب جديد.

وينبغى لهذه المنطقة ولغيرها من مناطق العروبة والإسلام أن ترفض هذا التدخل، فلسنا عبيداً لأحد. نحن عبيدٌ لله وحده: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

دعوة لتطوير مناهجنا التعليمية وتجديدها:

لا أنكر – أيها الإخوة – أن فى مؤسسات التعليم الدينى كثيراً من ألوان القصور والتقصير، كغيرها من المؤسسات فى بلادنا. المؤسسات العامة فى بلادنا كلها فى حاجة إلى مراجعة وفى حاجة إلى تقويم، والأمة الحية هى التى تراجع نفسها ما بين الحين والآخر دون أن يُفرض عليها هذا من أحد.

أمريكا نفسها نقدت نظام التعليم فيها، وجاءت بفريق يابانى ليقدم إليها مشورته فى إصلاح النظام التعليمى فيها، ولكن هى التى فعلت هذا، لم يفرض أحدٌ عليها هذا.

نحن ندعو، ودائماً التربويون ينادون بالمراجعة والتقويم ما بين الحين والآخر، هذا أمر طبيعى.

التعليم الدينى كثير منه يشكو الجمود: أنه يعيش جامداً، لم ينفتح على هذا العصر وعلى آفاقه الواسعة، وعلى ثقافاته المتنوعة، وعلى مشكلاته المتجددة. ونحن نطالب الذين يتعلمون الدين أن ينظروا إلى التراث بعين وإلى العصر وتياراته بعين أخرى، كما جاء فى تراثنا: رحم الله امرءاً عرف زمانه

---

(١) راجع الخطبة رقم (١٢) من هذا الجزء وهى عنوان: «إغلاق المؤسسات الخيرية لمصلحة من؟ ص ١٦٥.

واستقامت طريقته. وجاء فى بعض الآثار: وينبغى للعاقل: أن يكون عارفاً بزمانه، حافظاً للسانه، مقبلاً على شانه.

نحن نريد من التعليم الدينى أن يخرج من الانغلاق، ومن الجمود، وأن ينفتح على آفاق المعرفة الواسعة.

نحن نريد من هذا التعليم أن يخرج من قصوره.

التعليم الدينى والعلوم التجريبية الإنسانية:

بعض مدارس التعليم الدينى لا تعرف شيئاً عن العلوم الحديثة، لا تعرف شيئاً عن الجغرافيا، ولا عن الفيزياء، ولا عن الكيمياء، ولا عن الأحياء، ولا عن هذه الأشياء! كيف يعيش الإنسان فى هذا العصر وهو جاهل بهذه الأمور؟!

ولذلك حينما نناقش بعض القضايا التى لها صلة بالعلم، نجد هؤلاء أبعد ما يكونون عن معرفة الواقع. وعلماؤنا قالوا: لا بد للمفتى أن يفقه الواقع[1] كما يفقه النص. بدون الجمع بين النص والواقع لا يستطيع أن يُحسن الفتوى. لا يمكن أن يعرف شيئاً فى قضية الهلال، وهل نأخذ بالحساب الفلكى؟ إذا كان لا يعرف شيئاً عن الفلك، ولا عن الكسوف، ولا عن الخسوف، ولا عن مسير الشمس، ولا عن مسير القمر. كيف يستطيع أن يتحدث عن بعض الأشياء مثل التى تتعلق بشتل الجنين، والتحكم في جنس الجنين، وهو لا يعرف شيئاً عن هذه الأمور؟ حتى إن بعضهم مرة علق على فتوى لى قال: القرضاوى يقول إن المرأة تبيض! من قال إن المرأة تبيض؟ المرأة تلد ولا تبيض! معروف أن المرأة عندها بييضة كل شهر عربى، هذا أمر أصبح معروفاً. كيف يتكون الجنين؟ يتكون من الحيوان المنوى للرجل والبييضة من المرأة. هؤلاء لا يعرفون هذا.

هناك قصور فى هذه المؤسسات الدينية، وبعض هذا القصور يرجع إلى القصور المادى والمالى.

كنت فى الفلبين من نحو خمس وعشرين سنة، وزرت المعاهد العربية والإسلامية، وهذه المعاهد العربية والإسلامية منتشرة فى أنحاء العالم بالمئات

---

(١) ذكرنا فى كتابنا: (ثقافة الداعية) أنواع الثقافات التى يجب على الداعية أن يكون ملماً بها، ومنها الثقافة الواقعية، انظر الكتاب المذكور ص ١١٩ – ١٢٣، طبعة مكتبة وهبة ١٩٩٦م.

والآلاف، وجزى الله الأمير محمد الفيصل خيراً حينما أسس اتحاداً لهذه المدارس العربية أمينه الدكتور توفيق الشاوى، وعمل في بعض الأوقات على محاولة تطوير هذه المدارس والمعاهد العربية، فأقام لها دورات تربوية تطويرية فى بلادها، وبعث إليها أناساً، وطلب من بعض الجامعات أن تتبرع بإرسال بعض الأساتذة للمشاركة، وذهب بعض إخوتنا في جامعة قطر ليشارك فى تطوير هذه المعاهد، وتطوير المدرسين، وإعطائهم جرعات من التربية وأسس التربية الحديثة. المهم أنى حينما زرت الفلبين في ذلك الوقت – وكنت مع فضيلة الشيخ الجليل عبد الله الأنصارى رحمه الله – وجدتهم يعيشون فى الماضى كما كان الأزهر منذ مائة سنة، قلت لهم: لماذا لا تتعلمون اللغة الإنجليزية؟ لماذا لا تتعلمون العلوم الحديثة؟ لماذا لا تطورون الأساليب التدريسية أو تستعينون بالوسائل السمعية والبصرية؟ قالوا: هذا كله يحتاج إلى فلوس، ونحن نعتمد على مدرسين متطوعين، وإذا أخذوا شيئاً أخذوا القليل. فمن أين لنا أن ندفع راتباً لمدرس الإنجليزى ومدرس الفيزياء والكيمياء ومدرس الجغرافيا؟ المشكلة إذن هناك نقص فى موارد التمويل لهذه المؤسسات.

والعجب أن كثيراً من المسلمين عندهم فائض أموال، وعندهم رغبة في عمل الخير، ولكن معظم أثرياء المسلمين وتجار المسلمين إذا أرادوا أن يعملوا خيراً لم يفكروا إلا فى شىء واحد: أن يبنوا مسجداً، وكأن المسجد هو كل ما يحتاج إليه المسلمون. المسلمون في حاجة إلى المدرسة مثل حاجتهم إلى المسجد أو أشد، وإلاّ من يذهب إلى المسجد إذا لم تأت المدرسة بمن يعلمه الذهاب إلى المسجد؟ نحن فى حاجة إلى المسجد.. في حاجة إلى المدرسة.. فى حاجة إلى النادى.. فى حاجة إلى المؤسسات المختلفة التى بها يكتمل المجتمع ويؤدى دوره.

هذا ما نريده أيها الإخوة للتعليم الدينى. أن ينمو ويرتقى ويتطور، ويعايش العصر، ويمشى مع ركب الحياة، حتى يؤتى أكله كل حين بإذن ربه.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا فى ديننا، وأ ن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه سميع قريب.

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية:**

ثبات الشعب الفلسطينى أمام المجازر:

أما بعد: فلعلكم أيها الإخوة تتابعون معى ما يحدث فى أرض الإسراء والمعراج.. فى أرض النبوات والمقدسات.. فى أرض المسجد الأقصى.. فى أرض فلسطين.

إن ما يحدث شيء يتقطع له نياط الفؤاد، وتتفتت له الأكباد، ويرجع الإنسان حزيناً مليئاً بالحسرة والنكد كلما استمع أو شاهد نشرة من نشرات الأخبار، أو قرأ ما تنشره الصحف صباح كل يوم، إنه شيء لا يُصدق.

إن شارون وعصابته المجرمة أصبحوا يمُلُون إرادتهم، ويفرضون مشيئتهم، على أبناء فلسطين.

والعجب أن نجد من أبناء فلسطين من يستجيب لهذه الإرادة.

الشعب الفلسطينى رفض التسلط الشارونى، وقاوم ذلك بصدوره. قاوم الدبابات فى الأرض، والمروحيات والطائرات من الجو، والبوارج من البحر. قاوم هذا بما يملكه من أدوات وبعضها لا يغنى شيئاً أمام هذا التجبر، ولكن الشعوب حينما تقاوم، تقاوم بما تقدر عليه، والله تعالى يقول: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ..** ﴾ [الأنفال: ٦٠]، لم يقل: أعدّوا لهم مثل ما أعدّوا لكم، إنما قال: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم** ﴾. ولم نجد شعباً من الشعوب قاوم المحتل والمستعمر بمثل ما يملك المستعمر من قوى وأدوات، لا يوجد هذا فى التاريخ أبدا.

ولذلك الشعب الفلسطينى البطل الباسل أثبت وجوده منذ بدأت الحركة الصهيونية وبدأ المشروع الصهيونى، قاوم بثورات متصلة وبذل ما بذل، لولا المؤامرات والخيانات من قديم ومن حديث.

هذه الانتفاضة الثانية.. الانتفاضة المباركة، يجب أن تستمر. إن إيقاف الانتفاضة جريمة بكل المقاييس، وخيانة لله ولرسوله ولفلسطين وللأمة، لا يجوز أن تقف هذه الانتفاضة، يجب أن تستمر.

ماذا نريد فى مقابل وقف الانتفاضة؟ أن يرضى شارون؟ والله مهما عملنا لن يرضى شارون.

OBEIKAN.COM

أنصح عرفات بالعودة إلى النضال:

ماذا يريد الرئيس عرفات من شارون؟ يريد أن يفرج عنه ليتحرك كما يريد؟ هو سجين فى رام الله، وقال شارون: إنه سيظل حبيس رام الله مدة طويلة! هو الذى يتحكم فيه. ما قيمة هذه الرئاسة؟!

أنا أقترح على السيد ياسر عرفات أن يعود كما كان من قبل.. أن يتخلى عن كرسى الرئاسة هذا الذى لم يعد له قيمة، ولم يعد له معنى، ولا يستطيع أن يستقر عليه، ويعود ثائراً مناضلاً مجاهداً كما كان من قبل.. أن يرمى بغصن الزيتون ويحمل البندقية.. أن يأتى بالكوفية على وجهه ويتلثم مع المتلثمين.. أن يعلن الجهاد من جديد.

أما أن يترضى شارون ليرضى عنه حتى يتحرك داخل سلطته! أى رئيس هذا الذى لا يملك أن يتحرك داخل السلطة وهو رئيسها؟!

لم يسمح له شارون أن يحضر المؤتمر الوزارى الإسلامى! تُرى هل يسمح له أن يحضر مؤتمر القمة العربى الذى سينعقد عن قريب؟!

إن عرفات يحاول أن يرضى شارون بأن يبذل له بعض ما يريد، فيعتقل بعض قادة الفصائل النضالية والجهادية التاريخية فى فلسطين ليرضى شارون! هذا عبث، وهذا خطأ، ولن يُرضى شارون.

إننا ننادى السلطة، وننادى الشعب فى فلسطين: أن يقفوا جميعاً صفاً واحداً لا يُخترق، لا يسمحون للصهاينة أن يخترقوه. قوة هذا الشعب فى تماسكه.. فى تلاحمه.. فى اتحاده، والله تعالى يقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾ [الصف: ٤].

أما اللُّهاث وراء عملية السلام [١] - أى سلام كان، السلام كما تفسره

---

(١) لنا قصيدة حول هذا السلام الهزيل أسميناها: سلام السراب أو سراب السلام، ومن أبيات هذه القصيدة:

سلام من بنى صهيو ... ن عفواً يا بنى جنسي
أيرجى السلم من ذئب؟ ... أيرجى الدر من تيس؟
فيا عجباً لمن يجري ... وراء سرابه النفسي
يظن له به ريا ... ويرجع فارغ الكأس
يفرط في دم الشهدا ... ء يالله العار والبؤس

انظر: المسلمون قادمون ص٧٨ وما بعدها، طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية ٢٠٠٠م.

إسرائيل وكما تريده إسرائيل – فهذا لا يخدمنا، وليس فى صفنا، ولا يحقق لنا هدفا. سنظل طوع أمر إسرائيل، سنظل رهن إشارة إسرائيل، سنظل تحت إرادة إسرائيل وهيمنة إسرائيل والصهيونية.

أهذا ما يُراد لنا؟ أهذا ما أراده ياسر عرفات بعد هذا العمر من الجهاد: أن يصبح رهن إشارة الكيان الصهيونى يتحكم فيه كيف يشاء؟

لا حل إلا أن يلتحم الشعب الفلسطينى كله ويقف وقفة رجل واحد، ويرفضون هذا الاستسلام، ويرفضون هذه الإهانة، ويستعدون لبذل كل ما يستطيعون، ليعيدوها جَذْعَةً من جديد، فما كسبوا شيئاً حتى الآن إلا الحصار والتجويع والقتل والتخريب والتدمير يلقونه كل يوم.

إننا نحيى هؤلاء المجاهدين الشباب الذين ضحّوا بأنفسهم، ووضعوا رؤوسهم على أكفهم، وأرواحهم فى أيديهم ، وقدموها رخيصة فى سبيل الله، وهاجموا الصهاينة فى عُقر دارهم وقتلوا منهم من قتلوا، واستشهدوا فى سبيل الله. نحيى هؤلاء، وهذا تغيير نوعى، بدل عمليات الاستشهاد والتفجير: الدخول فى المعمعة.. القتال لهؤلاء.. المقاومة لهم، هذا أسلوب جديد نحييه ونشجعه، ونرى أنه لا يمكن أن يُخضع الإسرائيليين إلا الجهاد. إن الحرية لا تُسجدى، إن الاستقلال لا يُوهَب، ولكنه يُؤخذ أخذا، ورحم الله أمير الشعراء شوقى حينما قال:

وللحرية الحمراء بابٌ بكل يدٍ مضرجةٍ يُدقُّ

لا يدق باب الحرية إلا باليد المضرجة بالدماء. أما اليد الناعمة التى تلبس القفاز، وهذه الشخصيات التى لا تريد الجهاد، والتى قال فيها الشاعر قديماً:

خطرات النسيم تجرح خديه ولمس الحرير يُدمى بنانه!

فهؤلاء لا تنتصر بهم أمة، ولا تتحقق بهم حرية، ولا يأتى على أيديهم استقلال.

* * *

(١٢)
إغلاق المؤسسات الخيرية الإسلامية[١]
لمصلحة مَنْ ؟

● **الخطبة الأولى:**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

حالة هوان تعيشه الأمة:

لعل الأمة الإسلامية لم تمر بمرحلة هوان ومحنة ومذلة كالمرحلة التى تعيشها اليوم.

لقد ابتُلينا باستعمار عنصرى صهيونى استيطانى إحلالى، استباح الدم، واستباح الأرض، واستباح العرض، واستهان بالمقدسات. ابتُلينا بهذا الاستعمار الصهيونى البغيض، الذى احتل أرض الإسراء والمعراج.. أرض المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله.. الأرض التى بارك الله فيها للعالمين كما قال القرآن الكريم[٢].

وابتلينا فى هذا العصر بأن غُزيت الأمة فى عُقر دارها، وما غُزى قوم فى عُقر دارهم إلا ذلوا. ولكن المشكلة: حينما تكون مع الغزاة.. أن تجبرك الأوضاع على أن تساعد الغزاة لأرضك وأن تقف معهم، وهذه مصيبة كبرى.

قالوا: تعالوا نحارب الإرهاب. وسلّم لهم من سلّم، فقد قالوا: إما أن تكونوا معنا، وإما أن تكونوا مع الإرهاب! حتى لم يقولوا: أو تكونوا علينا، بل قالوا: وإما أن تكونوا مع الإرهاب! وخاف الناس أن يكونوا مع الإرهاب، فقالوا: نحن معكم.

---

(١) أُلقيت فى جامع عمر بن الخطاب بالدوحة فى ٢٥ذو القعدة ١٤٢٢هـ الموافق ٨ فبراير٢٠٠٢م.

(٢) فى مثل قوله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا..** ﴾ [الإسراء: ١]، ﴿ **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٧١]، ﴿ **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا..** ﴾ [الأنبياء: ٨١].

OBEIKAN.COM

ولكنهم لم يحددوا: ما هو هذا الإرهاب الذى نحاربه؟ تركوه مائعاً فضفاضاً رجراجاً هُلاميّا بحيث يفسّرونه كما يهوون، وكما يحلو لهم.

ماذا كان هذا الإرهاب؟

انتهى الإرهاب الذى يحاربونه إلى أن كل مسلم يدافع عن وطنه ويقاوم الغزاة المحتلين ويدفع فى ذلك دمه ونفسه وماله، اعتبر هذا إرهابيا.

ولذلك صنّفوا فى قائمة الإرهاب: حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، منظمة الجهاد الإسلامى، كتائب شهداء الأقصى، منظمة فتح، الفصائل الإسلامية المختلفة المقاومة والمعارضة فى فلسطين، كل هذه أصبحت ضمن منظمات الإرهاب. حزب الله فى لبنان كذلك منظمة إرهابية، جماعة المجاهدين فى كشمير منظمة إرهابية! كل من يدافع عن دينه ووطنه فهو إرهابى! وعلينا أن نقاوم معهم وأن نغزو معهم هؤلاء الإرهابيين، لأننا إذا لم نكن معهم كنّا مع الإرهاب!!

أرأيتم هواناً مثل هذا الهوان؟!

لقد قال الشاعر قديماً فى قبيلة تيم:

ويقضى الأمر حين تغيب تيمٌ ولا يُستأذنون وهم شهود

نحن الآن قبيلة تيم، بل أذلّ من تيم، لأنهم يتصرفون فينا كما يريدون، ولا يُسألون عما يفعلون، كأنما هم آلهة فى هذه الأرض، لا تُسأل عما تفعل ولا تُحاسب على ما تقول! إنه منطق القوة والجبروت ﴿.. **كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾ [غافر: ٣٥]، ﴿**وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾. [إبراهيم: ١٥]

ومن العجب أن نجد بعض قادتنا يرددون ما يقوله هؤلاء، ويحطبون فى حبلهم، ويسيرون فى ركابهم، ويطلقون صفة الإرهاب على كل هذه المنظمات الجهادية الأصيلة إرضاء لأولئك، ولن يرضوا عنك حتى تتبع ملتهم، وحتى تفنى فيهم، وحتى تذوب شخصيتك فى شخصيتهم، وحتى تطيع أمرهم وتكون عبداً ذليلاً لهم فى كل شىء، وربما لو فعلت ذلك لم يرضوا عنك أبدا.

OBEIKAN.COM

يا أيها الإخوة: لقد أصبح هؤلاء يتدخلون فى أخص شؤوننا كأننا أمة لا وجود لها، ولا مقومات لها، ولا خصائص لها، ولا رسالة لها.

يريدون أن نغير تعليمنا، خصوصاً التعليم الدينى، وطلبوا ذلك صراحة من بعض البلاد، وطلبوا ذلك خفية من بلاد أخرى.

محاربة العمل الخيرى الإسلامى:

ولم يكتفوا بذلك بل قاوموا العمل الخيرى الإسلامى، اعتبروا جمعيات العمل الخيرى الإسلامى جمعيات إرهابية، ووضعوا أسماء بعضها، ولا زال هناك أسماء أخرى فى الجعبة تظهر بين الحين والحين، هذه الجمعيات التى تعمل فى إغاثة الإنسان الملهوف.. فى أن تمسح دمعة المحزون.. فى أن تطعم الكبد الجائعة.. فى أن ترق على هؤلاء المساكين من أبناء المسلمين الذين لا يجدون ما يمسك الرمق أو يطفىء الحرق، هذه الجمعيات أصبحت جمعيات إرهابية! العمل الخيرى أصبح جريمة!

ماذا يُراد إذن منّا نحن المسلمين؟

يُراد منّا أن نترك إخواننا المسلمين يموتون جوعاً، وعُرياً ومرضاً ويُتماً وتشرداً، ولا نمد لهم يداً بالمساعدة لنطعم الجائع، أو نسقى الظمآن، أو نكسو العُريان، أو نداوى المريض، أو نكفل اليتيم، أو نؤوى المُشرد، أو نقضى حاجة المحتاج، هذا ما يُراد بنا.

عوامل التزام المسلم بعمل الخير:

إن العمل الخيرى جزء من كيان الفرد المسلم والأمة المسلمة. لا يستطيع المسلم أن يعيش دون أن يُساهم فى العمل الخيرى، وذلك من وجوه عدة:

١ - المسلم مأمور بفعل الخير:

أولاً: أن المسلم مأمور بفعل الخير، والدعوة إلى الخير، والدلالة على الخير. الله تعالى يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الحج: ٧٧]. فكما أن المؤمن مأمور بالعبادة والركوع

OBEIKAN.COM

والسجود والصلاة مأمور بفعل الخير، هذا جزء من مهمة الفرد المسلم والجماعة المسلمة: ﴿ **وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾.

وهو لا يفعل الخير فقط، بل يدعو إليه: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ..** ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. والنبى ﷺ يقول: «من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله»(١).

وإذا لم يستطع أن يفعل الخير أو يدلّ عليه فلينوه فى نفسه، فإنما لكل امرىء ما نوى، ولذلك جاء فى الحديث أن ممن يثيبه الله عز وجل: «.. عبد رزقه الله مالاً وعلما، فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية يقول: لو أن لى مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته - قال النبى ﷺ: - فأجرهما سواء»(٢). الذى فعل والذى نوى وكان صادق النية كما يعلم الله منه، فهما فى الأجر سواء.

المسلم مطالب بفعل الخير، والدلالة على الخير، ونية الخير.

٢ - مطالبة المسلم بمعاونة إخوانه:

ومن ناحية ثانية: المسلم مطالب بمعاونة إخوانه المسلمين حيثما كانوا، يَشد أزرهم، ويُجَلِّد ظهرهم، ويُقوى عضدهم. فالأمة الإسلامية أمة واحدة، هم إخوة حيثما كانوا فى مشرق أو مغرب، لا تَحُدّ بينهم حدود، ولا تقطع بينهم أقاليم، «المسلم أخو المسلم (هكذا قال رسول الله ﷺ) لا يظلمه ولا يُسلمه..»(٣) معنى لا يُسلمه: أى لا يتخلى عنه، لا يتركه ضحية للظالمين يأكلونه، ولا يتركه فريسة للجوع والعرى والمرض، بل يعمل على إن إنقاذه. ويقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ..** ﴾ [الحجرات: ١٠] المؤمنون حيثما

---

(١) رواه مسلم فى الإمارة (٨١٩٣) عن أبى مسعود البدرى.

(٢) جزء من حديث رواه أحمد (١٨٠٣١) عن أبى كبشة وقال محققو المسند: حديث حسن، والترمذى واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح، عن أبى كبشة الأنمارى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: ١/١٠٤ برقم ٨).

(٣) سبق تخريجه فى ص (٤٠).

OBEIKAN.COM

كانوا إخوة «كونوا عباد الله إخوانا»[1] كما أمركم الله. «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» هكذا قال رسول الله ﷺ ثم شبك أصابعه[2]. «مثل المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[3].

كيف تنام ملء جفنك، وكيف تأكل ملء بطنك، وكيف تضحك ملء سنّك، وإخوانك هناك حول الأقصى فى أرض فلسطين لا يجدون ما يأكلون؟ الحصار قد قطع عليهم الطريق وسد عليهم الأبواب.

كيف تستطيع أن تَهنأ بعيشك وإخوانك فى بلاد شتى من أرض الإسلام لا يجدون القوت الضرورى لهم؟

المسلم مأمور أن يعاون إخوانه هؤلاء حيثما كانوا، وليس بمؤمن «من بات شبعاناً وجاره جائع»[4] وكل المسلمين جيران لك. فى عصرنا قالوا: إن العالم أصبح قرية صغرى. معنى هذا: أن تعيش مع الناس حيثما كانوا فهم جيرانك.

هذا من جهة ثانية.

٣ - فعل الخير للبشرية جمعاء:

ومن جهة ثالثة: المسلم مأمور أن يمد يده بالمساعدة للمحتاجين ولو كانوا غير مسلمين، لأن الإسلام دين الرحمة العامة ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، حتى إن النبى عليه الصلاة والسلام قال: «والذى نفسي بيده؛ لا يضع الله رحمته إلا على رحيم قالوا: كلنا يرحم. قال: ليس برحمة أحدكم صاحبه؛ يرحم الناس كافة»[5]، رحمة الجميع مسلماً أو غير مسلم.

---

(١) رواه البخارى فى الأدب (٦٠٦٥) ومسلم فى البر والصلة (٢٥٥٩) عن أنس بن مالك.

(٢) سبق تخريجه فى ص (٨٨).

(٣) سبق تخريجه فى ص (٨٨).

(٤) رواه الطبرانى والبزار عن أنس بن مالك، وقال الهيثمي إسناد البزار حسن. ونصه كاملاً: «ما آمن بى من بات شبعاناً وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم». (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: ٢/ ٦٩١ برقم ١٥٣٠). وذكره الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٥٦١).

(٥) رواه هناد فى الزهد (١٣٢٥)، وأبو يعلى فى مسنده (٧/ ٢٥٠) وذكره الألبانى في السلسلة الصحيحة (١٦٧).

والله تعالى يقول: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الممتحنة: ٨]. ويصف الله تعالى الأبرار من عباده فيقول: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ [الإنسان: ٨] الأسير مشرك كافر، ولكن يطعمه الطعام وهو يحبه ويحتاج إليه ويشتهيه، ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا** ﴾ [الإنسان: ٩].

لا يقتلون الأسرى كما فعل أولئك الذين قتلوا ستمائة أسير وأيديهم مقيدة مكتوفة وراء ظهورهم.

بل الإسلام يدعو إلى الرحمة بالحيوان الأعجم الذى لا ينطق ولا يُبين عن نفسه: «اتقوا الله فى البهائم المعجمة، فاركبوها صحاحاً، وكلوها سمانا»[١]، «دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»[٢]، ودخلت امرأة بغى الجنة بسبب كلب عطفت عليه فسقته فشكر الله لها فغفر لها.

هذا هو الإسلام يدعو إلى الرحمة بخلق الله، حتى الحيوانات.

٤ - فريضة الزكاة:

ثم من ناحية رابعة: الإسلام جعل من فرائضة الأساسية وعباداته الركنية: الزكاة، الركن الثالث فى الإسلام، هى عمل خيرى، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، إنها تقوم بحق التكافل الاجتماعى، إنه أمر أساسى فى المجتمع المسلم. لا يستحق المسلم أن يدخل فى جماعة المسلمين وأن يستحق أخوتهم الدينية

---

(١) رواه أحمد (١٧٦٢٥) وقال محققو المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات. وأبو داود وابن خزيمة فى صحيحه وابن حبان فى صحيحه، كلهم عن سهل بن الحنظلية. قال الهيثمى: رجال أحمد رجال الصحيح، وقال فى الرياض بعد عزوه لأبى داود: إسناده صحيح. ومعنى (المعجمة) التى لا تقدر على النطق فتشكو ما أصابها من جوع وعطش، والقصد التحريض على الرفق بها والتحذير من التقصير فى حقها (فيض القدير للمناوى: ١/١٢٦ برقم ١٢٠).

(٢) سبق تخريجه فى ص (٥١).

OBEIKAN.COM

إلا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿ **فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ..** ﴾ [التوبة: ١١].

واجبات أخرى سوى الزكاة(١):

وليست الزكاة هى الحق الوحيد فى المال، إنها أول الحقوق وليست آخرها. هناك حقوق كثيرة فى المال، هَبْ أنك أديت الزكاة ورأيت إنساناً جائعاً تتركه يموت من الجوع إلى أن يحول الحول؟ أهذا معقول؟ لا، لابد أن تطعم المسكين.

فإذا لم تستطع أن تطعمه فحرض غيرك على إطعامه، حُض على طعام المسكين: ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾ [الماعون: ١ - ٣]. الإنسان الكافر الذى لا دين له هو ذلك الإنسان صاحب القلب القاسي المتحجر الذى لا يرق على ضعيف ولا يرحم مسكينا ﴿ **فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ** ﴾. يدفعه ويقهره بعنف ﴿ **وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾. الذى لا يحض على طعام المسكين هو من أصحاب الشمال.. من يأخذ كتابه بشماله ويستحق النار ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ** ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٢] لماذا؟ ﴿ **إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾ [الحاقة: ٣٣ - ٣٤].

كان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول لزوجته أم الدرداء: يا أم الدرداء، إن لله سلاسل لم تزل تغلى بها مراجل النار منذ خلق الله النار إلى اليوم، قد كسرنا نصفها بالإيمان بالله، وبقى النصف الآخر يا أم الدرداء، فحُضّى على طعام المسكين حتى نكسر السلسلة كلها.

وصف الله المجتمع الجاهلى وذمه بقوله: ﴿ **كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨]. اليتيم ضائع فى المجتمع الجاهلى.. والمجتمع الجاهلى مجتمع أنانى، كل إنسان فيه مشغول بنفسه.. بشهواته.. بمصالحه المادية، أما المجتمع المسلم فهو يتحاض على طعام المسكين.

---

(١) للمزيد من هذا انظر ما ذكرنا فى كتابنا: (فقه الزكاة) تحت عنوان: (أفي المال حق سوى الزكاة) (ح٢ / ١٠١١) طبعة مكتبة وهبة ١٩٩٤م.

يقول الأستاذ الإمام محمد عبده: إن هذه الآية: ﴿ **وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾ [الفجر: ١٨] أصل فى وجوب إنشاء الجمعيات الخيرية التى ترعى وتُعنى بأمور الضعفاء والفقراء واليتامى والمساكين.

هذا هو المجتمع المسلم.

دور العمل الخيرى فى الحفاظ على عقيدة الأمة:

العمل الخيرى عمل أساسى فى المجتمع المسلم، وخصوصاً إذا تعرض هذا المجتمع للتهديد فى عقيدته، أو فى قيمه، أو فى هُويته، وأصالته، كما نرى اليوم هناك مجتمعات إسلامية تهددها الغزوات التنصيرية، وتهددها العقائد المستوردة كما قال سيدنا أبو ذر: إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر خُذنى معك! معنى الكفر: الشيوعية أو التنصير أو غير ذلك من الدعوات الإلحادية والإباحية، الفقر يضعف مقاومته ويجعله فريسة لتلك الأفكار الغازية من الشرق أو من الغرب. ومن هنا كان على المسلمين أن يقاوموا هذه الموجات.

وعندما اجتمع المنصرون الأمريكان فى سنة (١٩٧٨م) فى ولاية (كلورادو) - اجتمع مائة وخمسون من عتاة المبشرين المنصرين بهدف معلن، هذا الهدف هو تنصير المسلمين في العالم، وأنشأوا لذلك معهداً سموه: معهد زويمر مهمته تخريج متخصصين فى تنصير المسلمين، ورصدوا لهذا الهدف (ألف مليون دولار) جمعوها فى ليلة واحدة، ألف ملياردير كل واحد عليه مليون جمعوا الألف مليون - فى ذلك الوقت طفت فى عدد من أقطار المسلمين أدعو إلى مقاومة هذه الموجة الغازية المكتسحة الجديدة، ودعوت إلى إنشاء مؤسسة لمقاومة هذا التيار[١]، وانتهينا إلى إنشاء الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية.

لم يكن هدفنا أن نؤسلم النصارى كما يريدون هم تنصير المسلمين، إنما كان هدفنا أن نحمى المسلمين.. نحمى الوجود الإسلامى من هذه الغزوة، وقلنا: علينا أن نجمع ألف مليون دولار، لنستثمرها وننفق من رَيْعها وعوائدها على

---

(١) طرح الشيخ القرضاوى هذه الفكرة فى خطبة (المسلمون فى مواجهة القوى المعادية) التى نشرت ضمن الجزء الأول من هذه السلسلة انظر: (ص ١٣٥ - ١٣٧). وانظر أيضاً خطبة (مشروع الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية) فى الجزء الخامس (ص ٢٠٥ - ٢١٦).

OBEIKAN.COM

المشروعات الخيرية التى تحمى المسلمين. وقلنا إن المسلمين أكثر من ألف مليون فى العالم، لو دفع كل واحد فى المتوسط دولاراً لجمعنا الألف مليون دولار، ورفعنا شعاراً يقول: ادفع دولاراً تنقذ مسلما. كان اليهود قديماً رفعوا شعاراً فى أول أحلامهم فى الهجرات الجماعية إلى أرض فلسطين يقول: ادفع دولاراً تقتل عربيا. نحن لا نريد أن نقتل أحداً، قلنا: ادفع دولاراً تنقذ مسلما.

ومع هذا أيها الإخوة أتدرون ماذا جمعنا منذ حوالى عشرين عاماً؟ لم نجمع أربعين مليوناً! هناك أشياء كثيرة وأعمال خيرية من الزكاة والصدقات والأوقاف، ولكن الهدف الأصلى الذى أقمنا من أجله الهيئة: أن نجمع ألف مليون نستثمرها وننفق من عوائدها، لم يتحقق عُشره ولا أقل من عُشره.

أمة الإسلام هذه كلها لم تستطع أن تجمع ألف مليون دولار لأنها أمة لا قيادة لها. مشكلة الأمة أنه ليس لها قيادة، ليس عندنا بابا ولا ماما! هم عندهم قياداتهم ونحن ليس عندنا قيادات.

المهم أيها الإخوة أن العمل الخيرى رغم ضآلته هذه فى مقابل ما يجمعون – قال لى بعض الإخوة: أن الألف مليون دولار التى جمعوها فى (كلورادو) هى مرة من المرات ولكنهم جمعوا بعد ذلك مليارات ومليارات، وعندما يريدون المليارات عندهم طرق شتى لجمعها – هذا العمل الخيرى المحدود أتعبهم وأقلقهم، ويريدون أن يوقفوه حتى ينفتح المجال أمام الهجمات التنصيرية ليعملوا.

هناك أربعة ملايين وسبعمائة وخمسون ألف منصر ومنصرة فى أنحاء العالم! هؤلاء يعملون وتُدفع لهم الملايين بسهولة، ونحن إذا جمعنا مبالغ ضيئلة لجمعياتنا الخيرية لتتحرك بها هنا وهناك نوصف بأننا إرهابيون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أزعجهم هذا العمل الخيرى لأنه يقف ضد هجمات التنصير، ولأنه – من ناحية أخرى – يثبت وحدة الأمة الإسلامية. من فوائد العمل الخيرى وثمراته المباركة أنه وحد مشاعر الأمة. السياسة للأسف لم تستطع أن توحد الأمة.. لم تستطع أن تجعلها تقف موقفاً إيجابياً موحداً، ولكن هذه الجمعيات استطاعت أن توحد مشاعر الأمة.. أن تجعل المسلم فى المشرق يتحرك ويتألم ويتحرق

من أجل إخوانه فى المغرب. المسلم فى جاكرتا يتحرك من أجل إخوانه فى فلسطين، أو إخوانه فى السودان، أو إخوانه فى الصومال، أو إخوانه فى تشاد. هذا هو عمل مهم وحَّد مشاعر الأمة.

حينما نجد جمعية خيرية فى قطر، أو فى المملكة العربية السعودية، أو فى الإمارات، أو فى الكويت، أو فى أى بلاد من بلدان الخليج تعمل من أجل إخوانها فى أفغانستان، أو فى الشيشان، أو فى البوسنة والهرسك، أو فى كوسفو، أو فى أفريقيا، حينما نجد هذه الجمعيات الخيرية تتحرك على مستوى العالم، وتجعل المسلم يحس بآلام إخوانه المسلمين، هذا كسب هائل، ربما لم نلحظه نحن المسلمين، ولكن الذين يقفون بالمرصاد بأجهزتهم الراصدة الحساسة يدركون هذا الأمر، ولذلك يريدون أن يقفوا فى سبيله، يريدون أن يقتلوه، وأن يئدوه حتى لا يُؤتى أكله، ولكن هيهات إن شاء الله.

سيظل العمل الخيرى قائماً، وسيظل العمل الخيرى ممتداً، وسيحقق أهدافه، ولا يمكن أن تستسلم هذه الأمة لما يُراد بها.

مصادر تمويل العمل الخيرى:

إن عندنا موارد ومصادر لتمويل العمل الخيرى، بعضها من الزكاة الفريضة الركنية، وبعضها من صدقات التطوع التى يبغى بها المسلم وجه الله، وبعضها من وصايا الأموات «إن الله تصدق عليكم عند وفاتكم بثلث أموالكم..»[1] الذين يوصون بالثلث أو بالربع أو بالخمس، أو بما قَلّ من ذلك أو كَثُر، هذه الوصايا من أهل الخير والبر هى رصيد للعمل الخيرى. الصدقات الجارية التى تَبْقى للإنسان بعد موته وتتمثل فى أوقاف خيرية تميز بها المسلمون خلال العصور، وثبت فى حُجج الوقف أن المسلمين لم يتركوا مكاناً للبر أو موضعاً للخير إلا ووقفوا عليه أموالهم، حتى الكلاب الضالة، حتى الخادم الذى يكسر الصحن ويخشى أن يُؤذى من سيده أو من سيدته، وقف بعضهم وقفاً للصحون

---

(١) رواه أحمد فى المسند (٢٧٤٨٢) عن أبى الدرداء وقال محققو المسند: حديث محتمل للتحسين بشواهده، ورواه ابن ماجة فى الوصايا (٢٧٠٩) عن أبى هريرة وحسنه الألبانى فى صحيح ابن ماجة (٢١٩٠).

المكسورة، إذا وقع الصحن من يد الخادم وانكسر يذهب به إلى هذا الوقف ليعطوه صحناً آخر.

انظروا إلى هذه الرحمة التى تمثلت فى الوقف الإسلامى، حتى وُجد وقف لإيناس المرضى، ناس يذهبون إلى المرضى فى مستشفياتهم ليعودوهم، ربما ليس لهم أهل ولا أقارب، فيذهبون لوجه الله ويؤنسون المريض ويقولون له: ما شاء الله وجهك اليوم مُشرق ويدخل عليه السرور والأمل، لأن الجانب النفسى له أثره فى التعجيل بشفاء المريض(١).

هذه كلها موارد ومصادر لتمويل العمل الخيرى.

نحن أمة الخير: ﴿.. **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ** ..﴾ [البقرة: ١٤٨، المائدة: ٤٨] ﴿.. **يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ** ..﴾ [الأنبياء: ٩٠، المؤمنون: ٦١].

نحن أمة الخير، وخير الخير هو الإسلام.

هذه الأمة ستظل فى عملها الخيرى، ستظل تداوى الجراح، ستظل تُسعف المصابين، ستظل تُغيث الملهوفين، ستظل تمسح دمعة المنكوبين.

هذا هو الذى يجب علينا، ولا يمكن أن نعتبر هذا العمل الخيرى جريمة.

إن من المصائب أن نعتذر عن العمل الخيرى، ونعتذر عن التعليم الدينى، هذه الأشياء التى نعتز بها ونفخر ونغالى ونباهى، أصبحت جريمة، وأصبحت وصمة عار. لله در البُحترى حينما قال:

إذا محاسنى اللاتى أُدلّ بها ... كانت ذنوبى فقُل لى كيف أعتذر؟!

كيف نعتذر من محاسننا ومآثرنا التى يعتبرها هؤلاء الناس ذنوباً؟!

لن نعتذر، وسنمضى فى طريقنا، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [التوبة: ١٠٥].

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجيب لكم.

---

(١) راجع ما ذكرناه فى كتابنا: (الإيمان والحياة) ص ٢٤٦ وما بعدها، طبعة مؤسسة الرسالة ١٩٩٦م.

● **الخطبة الثانية:**

فضل العشر الأوائل من ذى الحجة:

أيها الإخوة: نحن مقبلون على شهر حرام.. شهر ذى الحجة، وهو من الأشهر الحرم ومن أشهر الحج: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ..** ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وفى أوائل هذا الشهر الكريم عشرة أيام أقسم الله بها فى كتابه: ﴿ **وَالْفَجْرِ* وَلَيَالٍ عَشْرٍ** ﴾ [الفجر: ١، ٢]. وهى من أفضل الأيام عند الله، والعمل الصالح فيها مضاعف الأجر والمثوبة عند الله، كما جاء فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما(١)، التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد والصدقة والصلاة وتلاوة القرآن، كل هذه تزيد مثوبتها عند الله فى أيام عشر ذى الحجة.

والصيام فى هذه الأيام سنة مؤكدة، وأوكد هذه الأيام، يوم التاسع من ذى الحجة.. يوم عرفة فهو يوم يقول النبى ﷺ فيه: «إنى أحتسب على الله تعالى أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده..»(٢).

فاحرصوا على أن تستفيدوا من هذه الأيام المباركة ليكون ذلك لكم رصيداً عند الله تبارك وتعالى، فما أكثر ما نحتاج إلى رصيد الحسنات ليقاوم ما نقترفه من السيئات، وما عند الله تعالى لن يضيع: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ٤٠].

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا.

﴿ **.. وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

---

(١) سبق تخريجه فى ص (٥٢).

(٢) سبق تخريجه فى ص (٥٢).

OBEIKAN.COM